دور الأشاعرة والماتريدية في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وسر انتشارهما

(Ash'arites and Maturidites: Their Role in Defense of the Islamic Faith and the Secret of the Spread of their Schools)

Hakeem Ibrahim al-Shamiri (Corresponding Author)
Department of Syariah, Faculty of Islamic Studies,
Universiti Sultan Azlan Shah Malaysia
Bukit Chandan, 33000. Kuala Kangsar.
Tel: +601111520512 E-mail:aabobhaa@yahoo.com

Anwar al-Mustafa
Department of Syariah, Faculty of Islamic Studies,
Universiti Sultan Azlan Shah Malaysia
Bukit Chandan, 33000. Kuala Kangsar.
+60172588103 E-mail: anwar@kuisas.edu.my

ملخص البحث

بذل الأشاعرة والماتريدية جهوداً علمية وفكرية ساهمت في نشر الدين الإسلامي وتثبيت قواعده وتعاليمه في فترة دقيقة وحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية. وكان لهم الجانب القوي في الجدال مع الطوائف المنحرفة التي تثير الشبهات والتشكيك في المعتقدات الإسلامية. يهدف البحث إلى الكشف عن دور الأشاعرة والماتريدية في حماية العقيدة الإسلامية والدفاع عنها، والقضاء على النزعات الطائفية والصراعات المذهبية بالطرق الشرعية، وذلك باعتماد التجرّد والموضوعية والحياد في قراءة تاريخ الفِرَق بشكل عام والأشاعرة والماتريدية بشكل خاص، ووضع كل شيء في محلّه، وإعطاء كلٍّ نصيبَه. وتظهر أهمية البحث من خلال خطورة الخلاف والاختلاف بين الفرق الإسلامية في الساحة الدعوية، وما ينتج عن هذ الخلاف من صراع واقتتال يضر ويؤثر سلبيا على مستقبل المسلمين، والدعوة إلى ربط العلاقة الأخوية ذات الصلة بالأسس الدينية بين الفرق المختلفة، وإبراز العوامل المشتركة التي تكون محوراً هاماً لجمع الكلمة وتوحيد الأمة الإسلامية. ومن المشاكل التي تواجه الباحث عدمُ وضوح الأسباب الحقيقية للخلافات بين الفرق والمذاهب الإسلامية فهي تظهر حيناً وتختفي آخر. كما أن للحكام دورا في إشعال الخلاف لغرض "فرّق تَسُدْ"، وتحقيق مآرب سياسية للبقاء في السلطة، على حساب مصالح الأمة الإسلامية. وقد وجد الباحث أن الأشاعرة والماتريدية لهم جهودهم الخاصة في خدمة هذا الدين، وأن السبب في انتشار عقيدتهم هو الوسطية في الدعوة وروح التسامح واللين وحسن التعامل مع الآخرين.

الكلمات المفتاحية: الأشاعرة، الماتريدية، العقيدة الإسلامية، الخلاف، الفرق الإسلامية.

Abstract

Ash'arites and Maturidites exerted scientific and intellectual efforts in contributing to the spread of Islam and the installation of its rules and teachings in a sensitive and critical period in the history of the Islamic nation. They had a strong argument in the debate with deviant sects that raised suspicions and skepticism in the Islamic beliefs. This research aims to reveal the role of Ash'arites and Maturidites in the protection and defense of the Islamic faith, and in the elimination of sectarian strife and conflict in a legitimate way, by adopting of impartiality and objectivity. This is necessary in reading the history of the sects in general and Ash'arites and Maturidites in particular, and to put everything in place, and give each one its share. The importance of research takes place through the seriousness of the dispute and differences between Islamic sects in the advocacy arena, and the results of the dispute represented in conflict and fighting which hurt and affect negatively on the future of the Muslims. The call is to link the relevant fraternal relationship with the religious foundations between the different sects, and to highlight the common factors as an important hub to collect and unify the Islamic nation. One of the problems faced by the researcher is lack of clarity of the real reasons for the dispute among the Islamic sects; they sometimes appear and disappear. As for the rulers in the past, they have played a big role in igniting the dispute for the purpose of "divide and rule", and to achieve political targets in order to stay in power, at the expense of the interests of the Islamic nation. The researcher found that the Ash'arites and Maturidites had their own efforts in contributing their service to Islam, and that the reasons for the spread of their faith lie in moderation, a spirit of tolerance, gentleness and good dealing with others.

Keywords: Ash'arites, Maturidites, the Islamic faith, dispute, Islamic sects

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على الداعي إلى وحدة المسلمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين. لقد عصفت بالأمة الإسلامية خلافات أدّت إلى الفرقة والتشتت، ونشأت على إثر ذلك العداوة والبغضاء، وتكونت فرق متعددة، لكل فرقة طريق ومنهج في المعتقد، تزعّم كل فرقة إمامٌ يقتدى به ويؤخذ عنه العلم ويسمون باسمه، وكان أبو الحسن الشعري قد أسس في بغداد مذهبا عقديا اتسم بالوسطية بين التجسيم والتعطيل، تكونت على إثره طائفة نهجت منهجه وسلكت طريقه في المعتقد، تسمى بالأشاعرة المنتشرة في أصقاع الأرض. وفي نفس الزمن ظهر الإمام أبو منصور الماتريدي في إحدى بلدان سمرقند فيما وراء النهر، وقام بدوره في تأسيس مذهب عرف بفرقة الماتريدية التي تنتمي إلى الإمام أبو منصور الماتريدي، وقد اتفقتا هاتان الطائفتان في المعتقد والمنهج والفكر والهدف غالبا، وكان لهم الدور الأبرز في صيانة عقيدة السلف والأئمة من الانحراف والانقراض. واتخذتا

طريقتين مغايراً للطوائف الأخرى تتسم بالوسطية والإعتدال، حيث لم يذهبوا إلى التجسيم أو التعطيل. فكان أثر هذا المعتقد على شريحة كبيرة من علماء المسلمين الذين ساهموا في نشر المذهبين في أصقاع الأرض، وحافظوا على استمراره إلى يومنا هذا.

نشأة الأشاعرة والماتريدية

في هذه الورقة لابد من موجزٍ ولمحة خاطفة نتَّعرف من خلالها على الأشاعرة والماتريدية والعلاقة بينهما ومدى التقارب بين الفريقين في المنهج والفكر الدعوي من بداية النشأة، وسبب بروزهما على الساحة الدعوية وانتشارهما في المعمورة، والعومل التي ساعدت على ذلك.

نشأت الأشاعرة في اليوم الذي خرج أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة (324هـ) مؤسس الحركة الأشعرية من رحم المعتزلة في القرن الرابع بعد أن مكث في أحضانها أربعين عاماً ثم انقلب عليهم، وبدأ بتأسيس علم كلام جديد هدفه الحد من سطوة العقل عند المعتزلة لصالح الاتجاه النصي الذي نادى به أهل السنة والحديث (Khatib al-Baghdadiy, 1417H). وكاد أن يمحي الصراع الطويل القائم بين السنة المعتزلة. لقد كان لأبي الحسن الاشعري وأتباعه "الأشاعرة" دور بارز في الدفاع عن العقيدة الإسلامية والحد من علم الكلام والفلسفة وتحجيم العقل المصادم للنص، وإبراز دور النص وأهميته في تحديد المعتقد. فقد التقى الناس على هذا المذهب بجمهورهم الكبير، وبقي يضم العلماء من شتى الوجهات والاختصاصات وإلى اليوم (al-Muhtadi, 1426H).

وأما الماتريدية: فتنتسب هذه الطائفة إلى أحد علماء القرن الرابع الهجري وهو محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي، ولد في ماترید وهي من بلدان سمرقند فيما وراء النهر، ولا يعرف على وجه اليقين سنة مولده، وقد توفى سنة 333 هـ على أرجح الأقوال (Iwaji , 1422H). ولقد كان لأبي منصور مناظرات ومجادلات عديدة مع المعتزلة في الأمور التي خالفهم فيها.

العلاقة بين الأشاعرة والماتريدية

وقد اتحد الأشاعرة والماتريدية في الهدف والفكر والتوجه في محاربة الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج، المنحرفين عن عقيدة السلف والأئمة (Al-Mahmud, 1415H). وكان أبو منصور الماتريدي

معاصراً لأبي الحسن الأشعري إلا أنه لم يكن هناك لقاء بينهما، فالأشعري عاش ومات في العراق، والماتريدي عاش ومات في بلدان سمرقند فيما وراء النهر (D Mani' Ibn Hammadal, 1420H).

ولم يكن يجمعهما شيخ أو شيوخ تتلمذا على أيديهم. ويمكن تفسير وجوه الشبه بينهما في الآراء بأنه يرجع إلى تشابه منهج كل منهما إلى حد ما في التوسط بين العقل والنقل، والتجسيم والتعطيل وعقائدهما هي أصول الأئمة، فالأشعري قام بنصرة المذهب المالكي والشافعي، والماتريدي قام بنصرة المذهب الحنفي-رحمهم الله جميعا- فلم يبتدعوا مقالةً، ولا مذهبا جديداً، وليس لهما أكثر من بسط مذهب السلف، وشرحه، والتأليف في نصرته (Abd al-Rahman, 1415H').

فإذا وجد خلاف بين الفريقين في بعض المسائل، فهذا الخلاف لفظي في أكثرها إن لم يكن لفظيا في كلها. ومع ذلك الخلاف بين الفريقين غير جوهري، بل في التفاريع دون الأصول، وهذا النوع من الخلاف لا يستدعي التبديع ولا التفسيق عندهم. وعدد هذه المسائل قليل جداً.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما فعله ابن الهمام (Al-Zarkaliy, 1396H). في كتابه المشهور، "المسايرة" حيث اعتمد على كتاب الرسالة القدسية -وهي المسماة قواعد العقائد التي ألفها الغزالي (Al-Dhahabiy,1427H) لأهل القدس، ثم أدخلها ضمن إحياء علوم الدين- وكان هدف ابن الهمام أن يختصر كتاب الغزالي إلا أنه بعد أن بدأ بالكتابة رأي أن يزيد عليه زيادات مهمة، ولم يزل يزيد فيها -كما يقول - "حتى خرج عن القصد الأول، فلم يبق إلا كتابا مستقلا، غير أنه يسايره في تراجمه، وزدت عليها خاتمة ومقدمة". ولذلك سمى كتابه المسايرة، فابن الهمام اعتمد على أحد كتب الأشاعرة، وهذا وحده كاف للتدليل على ما كان بين المذهبين من تقارب، لذلك فابن الهمام؛ وإن ذكر قول الأشعري - بناء على ما في كتاب الغزالي - إلا أنه أعقبه بذكر المذهب الماتريدي (Abd al-Rahman, 1415H).

دور الأشاعرة والماتريدية في الدفاع عن العقيدة الإسلامية

للأشاعرة دور بارز في الدفاع عن العقيدة الإسلامية أمام الطوائف المنحرفة وغيرهم من الفرق الكافرة. وتنوع هذا الدفاع من نواحي عدة: الدفاع بالحجج العلمية الكلامية ضد المعتزلة والجهمية والرافضة والمرجئة، وهذه الطوائف المنحرفة تهدم الإسلام وتدعي أنها تنتمي إليه وهم يتصفون بالكفر والفلسفة والكذب، وقد روي عن هارون

الرشيد أنه قال: "طلبت أربعة فوجدتها في أربعة: طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث" (Abd' al-Rahman, 1415H). وقد ألف الإمام أبو الحسن الأشعري كتب تعري المعتزلة وتفضح عقيدتهم منها كتاب"كشف الأسرار وهتك الأستار" الذي بين فيه مثالب المعتزلة. ودافعت الأشاعرة على عقيدة المسلمين باللسان والمال والسيف، وكان صلاح الدين الأيوبي، والوزير نظام الملك، ونور الدين محمود بن زنكي، قد أوقفوا أنفسهم في سبيل الله والدفاع عن عقيدة السلف ضد الصليبيين والفاطميين والبويهيين والشيعة، فكان لهم الفضل في حماية الإسلام (al-'Uthaimin, 1418H).

المطلب الأول: سبب انشقاق أبي الحسن الأشعري عن المعتزلة

لاشك أن هناك أسبابا عدة جعلت أبا الحسن الأشعري يتخذ قراراً صعباً في الانشقاق عن المعتزلة، حيث كان يعد المنظّر والمؤصّل للمذهب المعتزلي؛ فكيف ينشق عنه ويعلن حربه عليه بدون شفقة أو رحمة، يدمر أركانه ويزيل بنيانه ويكشف مثالبه، إن هناك عدة عوامل ساهمت في الانشقاق كما يروي أهل التاريخ. منها أنه جرت مناظرات في إثبات صفات الخالق سبحان وتعالى، والقصة أن رجلا دخل على الجبائي وقال: هل يسمي الله عاقلا؟ فقال الجبائي: لا، لأن العقل مشتق من العقال، وهو المانع، والمنع في حق الله محال، فامتنع الإطلاق. قال الشيخ أبو الحسن الأشعري فقلت له: فعلى قياسك لا يسمي الله سبحانه حكيما؟ لأن هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام... فسكت ثم قال لأبي الحسن: فلم منعت أنت أن يسمي الله سبحانه عاقلا، وأجزت أن يسمي حكيماً؟ قال: فقلت له: لأن طريقي في مأخذ أسماء الله الإذن الشرعي دون القياس اللغوى، فأطلقت حكيما لأن الشرع أطلقه، ومنعت عاقلاً لأن الشرع منعه، ولو أطلقه الشرع لأطلقته (Al-Sobki, 1404H). والسبب الثاني الرؤية التي رأى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يحثه على ترك منهج المعتزلة والأخذ بمنهج المحدثين، فاستجاب لذلك واعتكف في أيام عديدة ثم خرج على الناس وصعد المنبر وأعلن طلاق المذهب المعتزلي وأنه انسلخ منه وبيّن الأسباب التي دفعته إلى ذلك، فكان له الأثر في تمزيق المذهب المعتزلي وتحجيمه (Al-Sobki, 1404H).

المطلب الثاني: دور الأشاعرة في الدفاع عن العقيدة:

من المعلوم والمذكور آنفاً أ ن أبي الحسن الأشعري كان من المعتزلة وقضى فيها وطراً من عمره وألف مؤلفات لنصرته واطلع على ما خفي على غيره من العلماء. وعندما قوي عظمة وزاد علمه واتسع فهمه وبلغ أربعين عاماً، ولد من جديد فخرج من رحم المعتزلة حاملاً معوله يهدمه ويزيل أثر ويبين مثالبه، فألف المؤلفات وصنف تصانيف كادت

أن تزيل المذهب المعتزلي من على الأرض، فكان له الفضل في دحر المذهب المعتزلي القدري ومحاربته والتشنيع به وإظهار عيوبه للأعين . ثم خلف من بعده خلف ينتسبون إليه وينتمون إلى مذهبه ويعتقدون أن نصرة هذا الدين واجبة ونشره فرض. ولقد كان للأشاعرة والماتريدية الدور البارز والجهد الأكبر في الدفاع عن عقيد أهل السنة والجماعة، والتصدي لأهل البدع والانحراف عن الدين. فهذا عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي الأسفراييني بيّن في كتابه (الفرْق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية) فتناول المعتزلة والمرجيئة وعدّد فرق المعتزلة حتى بلغ عددها اثنين وعشرين فرقة تمادت في الضلال وترسب في فؤادها الانحراف والزيغ عن الطريق المستقيم، وقد بيّن العقيد الصحيحة التي ينبغي للمسلم اعتقاداها فشنع على الفرق المنحرفة وبين عوراتهم وحذر من ضلالاتهم فقال: اتفق أهل السنة والجماعة من فريقي الرأى والحديث على أصل واحد خالفهم فيها أهل الأهواء الضالة من القدرية والخوارج والروافض والنجارية والجهمية والمجسمة والمشبهة ومن جرى من فرق الضلال فإن المختلفين في العدل والتوحيد والقبور والأسلاف متحدو الرواية والصفات والتعديل والتجويز وفى شروط النبوة والإمامة يكفر بعضهم بعضا فصح تأويل الحديث المروى في افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف دون الأنواع التي اختلفت فيها أئمة الفقه من فروع الاحكام في أبواب الحلال والحرام أو ليس فيما بينهم تكفير ولا تضليل (Asfarayiniy, 1403H).

المطلب الثالث: انتشار المذهب الأشعري

لقد حظي المذهب الأشعري بقبول عند جماهير المسلمين، فقد انتشر في أنحاء عديدة بواسطة العلماء ففي الحجاز انتقل عن طريق أبي ذر الهروي، كما انتقل إلى المغرب عن طريق المغاربة الذين كانوا يأتون إلى الحج، وكان ممن له أثر في نشره في المغرب بين المالكية أبو بكر الأبهري وأبو بكر الباقلاني والباجي وابن العربي. ويذكر المقريزي أنه قد انتشر في العراق نحو سنة 380هـ وانتقل منه إلى الشام، وممن انتشر على يديه في الشام أبو الحسن عبد العزيز بن محمد الطبري المعروف بالدمل (Al-Maqriziy, 1418H).

وانتشر الإسلام في جنوب شرق آسيا، وانتشر على أثره المذهب الأشعري، حيث الذين أوصلوا الإسلام كانوا يتمذهبون وينتمون إلى المذهب الشافعي والحنفي، وأن قصة انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا؛ لم يكن عن طرق الحروب المدمرة والجيوش الفاتحة؛ بل كان بالتعامل الحسن والكلمة الطيبة والصدق والأمانة فالمسلمون لم يخوضوا مع أهلها حروبًا تُذكر، وإنما ذهبوا إليها كتُّجار يحملون أخلاقَ الإسلام، وهَمَّ الدعوة إلى الله، وذلك بالحسنى والمعاملة الحسنة، فحقَّقوا القاعدة الأصيلة التي تؤكد أن الإسلام إنما يغزو القلوب لا الأراضي أو البُلدان،

وقد وصل المذهب الأشعري إلى جنوب شرق آسيا ماليزيا وإندونيسيا وبروناي (دار السلام) وسنغافورة وفطاني بجنوب تايلند، في القرن السابع الهجري عن طريق التجار الحضارم (Ramadan).

وسبب ذيوع المذهب الأشعري وانتشاره في المعمورة، بخلاف المذهب الماتريدي الذي نشأ في نفس زمن تأسيس المذهب الأشعري في بلاد ما وراء النهر، حيث لم تتوفر له الإمكانيات والعوامل التي توفرت للمذهب الأشعري (Mahmud, 1415H/1995M).

وأعتقد أن مما ساعد على انتشار المذهب الأشعري التوسط بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال والإثبات الذي مذهب أهل التجسيم. قال المقريزي رحمه الله: أن المذهب الأشعري سلك طريقاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال، وبين الإثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم، فمال إليه جماعة وعوّلوا على رأيه، منهم القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانيّ المالكيّ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الأسفراينيّ، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن يوسف الشيرازيّ، والشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزاليّ، وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستانيّ، والإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازيّ، وغيرهم ممن يطول ذكره، ونصروا المذهب الأشعري وناظروا عليه وجادلوا فيه واستدلوا له في مصنفات لا تكاد تحصر (Al-Maqriziy, 1418H).

فقد تبنى الأزهر في مصر نشر المذهب الأشعري والماتريدي مع ما له من مكانة علمية في العالم الإسلامي من بداية نشأته حتى يومنا هذا.

وظل الأشاعرة يدافعون عن دين الله الحق ويكتبون ويؤلفون في الرد على أهل الأهواء والبدع المخالفين لمذهب السلف وقد مضى الأشعري في هذا الطور نشيطاً يؤلف ويناظر ويلقي الدروس في الرد على المعتزلة سالكاً هذه الطريقة إلى أن توفاه الله تعالى (Dhahabiy,1427H).

المطلب الرابع: عوامل انشار المذهبين الأشعري والماتريدي:

ويرى الباحث أن هناك عوامل عديدة ساهمت في انتشار هذين المذهبين في المغرب والمشرق وبلاد الشام، وأن هناك أسبابا دعت العوام من الناس إلى احتضانه وتقبله، والدفاع عنه.

تنوعت هذه العوامل وتعددت حيث أنها تخضع لأدلوجية علمية وأدبية وأخلافية وتربوية؛ ولا ننسى الجانب السياسي الذي له أثره البالغ في نتشار المذهبين وحمايتهما من الانقراض.

أولاً: الجانب العلمي :لا يستطيع أي فكر أو مذهب أن ينتشر ويستمر إلا إذا تبناه ثلة من العلماء، ولهذا حظي المذهبان الأشعري والماتريدي أن تبناه علماء أجلاء شُهِدَ لهم بالفضل والعلم في جميع العلوم الشرعية وخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين، ومن هؤلاء الأعلام الذين تبنوه: الباقلاني، والبيهقي، والإسفراييني، والشيرازي، والجويني، والقشيري، والبغدادي، والغزالي، والرازي، والآمدي، والعز ابن عبد السلام، وبدر الدين ابن جماعة، والسبكي، وغيرهم كثير، ولم يكن هؤلاء وعاظا وخطباء فقط، بل كانوا مؤلفين ودعاة إلى هذين المذهبين، ولذلك ألفوا الكتب العديدة، وتخرج على أيديهم عدد كبير من التلاميذ (Abd al-Rahman, 1415H).

كما انتشر في أنحاء عديدة بواسطة هؤلاء، ففي الحجاز انتقل إليه المذهب الأشعري بواسطة أبي ذر الهروي، كما انتقل عن طريقه إلى المغرب عن طريق المغاربة الذين كانوا يأتون إلى الحج، وكان ممن له أثر في نشره في المغرب بين المالكية أبو بكر الأبهري، والباقلاني وتلامذته، والباجي، وابن العربي، وغيرهم، كما دافع كل من ابن أبي زيد القيرواني، وأبي الحسن القابس عن الأشعري .(Abd al-Rahman, 1415H').

أضف إلى ذلك الاهتمام ببناء المؤسسات التعليمية والمدارس النظامية التي أنشئت في مدن عديدة منها: البصرة، وأصفهان، وبلخ، وهراة، ومرو، والموصل، وأهمها وأكبرها المدرسة النظامية في نيسابور وفي بغداد، وقد جعلت هذه المدارس النظامية وقفاً على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً، وقد كان هؤلاء يلقون دروسهم في هذه المدارس على المذهب الشافعي، ويدرسون أصول العقيدة الأشعرية، فكان لذلك دور عظيم في نشره 'Abd al-Rahman, 1415H).

ثانياً: الجانب التربوي: من المعلوم أن علماء الأشاعرة كثير منهم قد تغلغل التصوف في صفوفهم وجرى منهم مجرى الدم. فهم لاشك يهتمون بالجانب النفسي والروحي الذي يكون له أثر على النفوس البشرية، فمن الصعب أن يتفلت الأشعري من عقيدته أو يفرّط فيها بعد أن تربى تربية روحية عقائدية يرى أنها هي الحياة الحقيقية في هذه الدنيا والفوز يالجنة في الآخرة. فعلماء الأشاعرة والماتريدية قد حازوا على أعلى المراتب في مجال التصوف فهم

أئمة في الورع والعبادات وأئمة في الفقه وأصوله، وأئمة في علم الكلام، فجمعوا بذلك بين التقوى والعلم والعبادة، فكان لهم الأثر البالغ على الناس والقدرة الفائقة على الإقناع وإظهار الحجج على الخصم. فزاد بذلك الأتباع وكثر الأنصار وانتشرت عقيدة الأشاعرة بين المسلمين، ولا ننسى أن نشير إلى شئ مهم وهو أن عقيدة الإشاعرة قد انتشرت في المعمورة واتسعت رقعتها بين المسلمين وكان أتباع أبو الحسن الأشعري أكثر بكثير من اتباع أبو منصور الماتريدي ويظهر أن العمل التربوي والروحي كان له الأثر في ذلك، فكبار علماء الأشعرية قد اختلطت مادة التصوف بهم، قال الأسفراييني وهو يثني على علماء الأشاعرة ويذكر مناقب عدة لهم "...ثم قال وسادسها علم التصوف والإشارات وما لهم فيها من الدقائق والحقائق لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة". وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي من مشايخهم قريبا من ألف وجمع إشاراتهم واحاديثهم ولم يوجد في جملتهم قط من ينسب إلى شيء من بدع القدرية والروافض والخوارج. (Asfarayiniy, 1403H).

فمادة التصوف سواء أكانت أخلاقا أو معرفة أو سلوكا أو تعبيرا عن مشاهدة أو تصويرا لمناجاة أو تذوقا لتجليات أو تحليقا حول إشراقات فهي مادة موصلة بالله قائمة به سبحانه (Al-Kilabadhiy)

ثالثاً: الجانب الأخلاقي: اللين والرفق في الدعوة سبب النجاح والانتصار وسبب المحبة والوئام. فقد حث الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على الرفق واللين والحكمة، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}. [سورة آل عمران: آية159].

قال الإمام الطبري: "فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك لنت لهم، لتبَّاعك وأصحابك، فسُهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمَه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتَّبعك ولا ما بُعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم". (Al-Tabariy, 1420H) .فالرفق وحسن الخلق من ركائز الدعوة الناجحة وعمود الوسطية، وفيه الخير والنجاح، وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: «من يحرم الرفق، يحرم الخير) (Muslim).

وقد فشلت بعض الجماعات الإسلامية في الدعوة بسبب الغلظة والعنف والشدة والقسوة مع العوام وغيرهم من المتعلمين مع ما أوتوا من إمكانيات مادية وحماية أمنية، إلا أنهم باؤوا بالفشل والخذلان وتقوقعت في دائرة ضيقة، ونفر الناس عنها. وصدق رسول الله عليه صلى الله عليه وسلم حين:«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه. (Al-Tirmidhiy, 1998M).

رابعاً: الجانب السياسي: لاشك أن الجانب السياسي عامل مهم في تحقيق النجاح الدعوي، والداعم الأول للنشر الفكر الديني وتثبيت قوائمه في أوساط الأمة الإسلامية. وقد نال الأشاعرة والماتريدية الحظ الأوفر والقسط الكبير من ذلك. فقد تبنى نشر العقيد الأشعرية والماتريدية كثير من السلاطين والملوك والأمراء، وتعاقبوا على ذلك على مر العصور.

وقد ذكر الإمام الذهبي عدة عوامل في سبب انتشار المذهب الأشعري بالخصوص فقال لعل أبرزها ما يلي:
أولاً: نشأةُ المذهب في "بغداد" التي كانت حاضرة الخلافة العباسية ومحط أنظار طلاب العلم الذين كانوا يفدون إليها من شتى الأقطار. (Dhahabiy,1427H).

ثانياً:انتساب بعض الأمراء والوزراء للمذهب الأشعري وتبنيهم له ومن أبرزهم: الوزير نظام الملك الذي تولى الوزارة لسلاطين السلاجقة فتولى الوزارة سنة 455هـ إلى 485هـ .

وكان نظام الملك معظماً للصوفية والأشعرية، إذ كان هؤلاء الذين يلقون الدروس في هذه المدارس، فكان لذلك دوره الكبير في نشر أصول العقيدة الأشعرية. (Dhahabiy,1427H).

صلاح الدين الأيوبي، وكان صلاح الدين الأيوبي أشعرياً، فقد حفظ في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري أحد أعلام الأشعرية وصار يحفظها صغار أولاده، ولذلك نشأ هو وأولاده على المعتقد الأشعري، فحمل صلاح الدين الكافة على عقيدة أبي الحسن الأشعري، وتمادى الحال على ذلك في جميع أيام ملوك بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك.(al-Tamimiy, 1418H).

وقد كان لذلك دوره الكبير في نشر الأشعرية في سائر أنحاء العالم الإسلامي، فمصر التي كانت مقر الدولة الأيوبية كانت هي حاضرة العلم في تلك العصور وقد كان للأزهر دور كبير في نشر العقيدة الأشعرية التي أدخلها صلاح

الدين في مصر بعد أن قضى على الدولة العبيدية الإسماعلية، ومنذ زمن صلاح الدين والأزهر يقرر عقيدة الأشاعرة إلى يومنا هذا. (Dhahabiy,1427H).

خامساً: الجانب العقائدي: وأهم العوامل وأبرزها العامل الديني المتمثل في الاعتقاد. فسلامة الاعتقاد وصحتة كان له الأثر في إقناع الناس في اتباعم وملازمتهم. وقد قال ابن تيمية عن الأشاعرة أن سبب ذيوع المذهب الأشعري كثرة الحق الذي يقولونه وظهور الآثار النبوية عندهم (Jami, 1408H).

وعقيدة الأشاعرة والماتريدية واحدة وهي الإيمان بأن الله عز وجل واحد لا شريك له موجود لا يشبه الموجودات لا يحويه المكان ولا يجري عليه زمان ولا يشبهه شيء، لا يحل في شيء ولا ينحل منه شيء، منزه عن الجلوس والجهة والجوارح والأعضاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. (Al-Khamis, 1419H). (Abi al-'Iz Al-Hanafiy, 1419H)

الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث لا أملك إلا أن أقول أنني قد نقلت بعض الحقائق التاريخة التي كانت محل إشكال عند كثير من الناس في جهود الأشاعرة والماتريدية ودورهم في في خدمة الإسلام والنصر لهذا الدين، والعوامل التي ساهمت في تمدد المذهبين في المعمورة. وبهذا أكون قد انتهيت من كتابة هذا الموضوع والتعبير عنه بأوجز العبارات. وأخيراً ما أنا إلا بشر قد أخطئ وقد أصيب، فإن كنت قد أخطأت فهذا جهد المقل فأرجو مسامحتي والتماس العذر لي، وإن كنت قد أصبت فهذا كل ما أرجوه من الله عز وجل.

References:

Al-Kurawiy. K. (1422H/2002M). *Al-Mujalla fi Sharh al-Qawa'id al-Muthalla fi Sifat Allah waAsma`ih al-Husna* by Al-'Allamah Muhammad Salih al-'Uthaimin. 1st Edition. Dar Ibn Hazm.

Abi al-'Iz Al-Hanafiy, S. (1417H/1997M). *Sharh al-'Aqidah al-Tahawiyyah*. 1th Edition Beirut: Mu`assasah al-Risalah.

Al-Asfarayiniy, T. (1403H/1983M). *Al-Tabsir fi al-Din waTamyiz al-Firqah al-Najiyah 'an al-Firaq al-Halikin*. 1st Edition. Beiurt: Alam al-Kutub.

Al-Asfarayiniy'A-Q. (1977). *Al-Farqbain al-Firaqwa Bayan al-Firqah al-Najiyah*, Beirut: Dar al-Afaq al-Jadidah.

Al-Khamis, M. (1419H/1999M). *Al-Fiqh al-Akbar*. 1st Edition. Arab Emirates: Maktabah al-Furqan.

Al-Kilabadhiy, *A. Al-Ta'arruf li MadhhabAhl al-Tasawwuf*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Mahmud. A. (1415H/1995M). *Mauqif IbnTaymiyyah min al-Asya'irah*. 1st Edition .Riyadh: Maktabah al-Rushd .

Al-Muhtadi, A. (1426H/2005M). Master Thesis. Presented at Islamic University of Baghdad . 1st Edition. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Tamimiy, M. (1418 H /1997M). Maqalah al-Ta'tilwa al-Ju'dIbn Dirham. 1st Edition. Riyadh: Adwa` al-Salaf. International Association of Islamic Youth. Al-Mausu'ah al-Muyassarah fi al-Adyanwa al-Madhahib wa al-Ahzab al-Mu'asirah, Supervised, Designed and Reviewed by Dr. Mani' Ibn Hammadal-Jahniy. 4th Edition. Dar al-Nadwah al-'Alamiyyah for printing, publishing, and distributing.

Iwaji, G. (1422H/2001H). FarqMu'asirahTantasibila al-Islam wa Bayan Mauqif al-Islam minha. 4th Edition. Jeddah: Al-Maktabah al-'Asriyyah al-Dhahabiyyah for printing and publishing and marketing.

Jami, A-A. (1408H). Al-Sifat al-Ilahiyyah fi al-Kitabwa al-Sunnah al-Nabawiyyah fi Dau al-Ithbatwa al-Tanzih. 1st Edition. Saudi Arabia, Medina: Scientific Council of the Islamic University.

Khatib al-Baghdadiy, A. (1417H). Tarikh Baghdad. 1st Edition. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Dhahabiy, S-A . (1424H/2003M). Al-'Arsh. Saudi Arabia, Medina: Deanship of Scientific Research at the Islamic University.
Al-Dhahabiy, S. (1427H/2006M). SiyarA'lam al-Nubala. Cairo: Dar al-Hadith.

Al-Maqriziy, T-A. (1418H). Al-Mawa'iz w al-'Itibar bi Zikr al-Khutatwa al-Atharan. 1st Edition. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Sobki, T. (1413H). Tabaqat Al-Shafi'i Al-Kubra. 2nd Edition: Hajr for printing, publishing and distribution.

Al-Tabariy, M. (1420H/2000M). Jami' al-Bayan fi Ta`wil al-Qur`an. Mu`assasah al-Risalah. 1st Edition.

Al-Tamimiy, M. (1418H/1997M). Maqalah al-Ta'tilwa al-Ju'dIbn Dirham. 1st Edition . Riyadh. Adwa` al-Salaf.

Al-Tirmidhiy. (1998M). Sunan al-Tirmidhiy. Beirut: Dar al-Gharb al.

Al-Zarkaliy, K. (2002M). Al-'Alam. 15th Edition. Dar al-'Ilm for sheeting.

Ibn 'Asakir, (n.d.), A. Tabyin Kadhib al-MuftarifimaNasabila al-Imam Abi al-Hasan al-Ash'ariy. 3rd Edition Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabiy .

Muslim. (n.d.) Sahih Muslim . Beirut: Dar Ihya` al-Turath al.

Ramadan, M. Bahth Al-Islam wa Al-Muslimon fi janob sharq Asia. Retrieved on March, 2016 a www.ansabcom.com/vb/t23377.htm.